

المشرق العربي و الحرب العالمية الأولى(1914-1918) -الأوضاع العامة للمشرق العربي قبيل الحرب

مقدمة:

أقحم عرب المشرق عامة و عرب الهلال الخصيب (العراق و الشام)، و الحجاز خاصة في الحرب العالمية الأولى من قبل بريطانيا مقابل وعود إغرائية بمنحهم الاستقلال و تخليصهم من الحكم التركي، فاستجاب العرب لذلك ووقفوا معها في الحرب و دعموها رفقة حلفائها ماديا و بشريا و سياسيا ضد تركيا. فما مدى تأثير المنطقة بأحداث و تطورات الحرب العالمية الأولى؟ ولماذا انحاز عرب المشرق إلى حلف (دول الوفاق الثلاثي) المعادي للأتراك و حلفائهم (دول الوسط) في الحرب؟ و ماهي تجليات دعم عرب المشرق لبريطانيا في الحرب؟ و فيم تمثلت انعكاسات الحرب على النفوذ العثماني في منطقة الهلال الخصيب و الحجاز؟ و ما مدى التزام بريطانيا بعودها تجاه العرب بانتهاء الحرب؟

1-الأوضاع العامة للمشرق العربي قبيل الحرب العالمية الأولى:

عانت غالبية البلدان العربية المشرقية من السيطرة الأجنبية، فعدن (اليمن) (1839)، و مصر (1882)، و الصومال (1887)، و السودان (1899)، و المشيخات بالخليج العربي (الإمارات، قطر، البحرين) (منذ عشرينيات القرن 19) الكويت (1899)، سلطنة عمان (نهاية القرن 19م) خضعت جميعها للاستعمار الانجليزي.

بينما خضعت كل من اليمن (منذ النصف الثاني ق 16)، الحجاز (المدينة المنورة، مكة، و الطائف) (منذ أوائل 16م)، و الهلال الخصيب (العراق و الشام) (سوريا، فلسطين، لبنان)) (أوائل ق 16م) للحكم العثماني. أما وسط شبه الجزيرة العربية، فقد تقاسمت النفوذ فيه أسر ذات طموحات و أهداف سياسية مختلفة، مثل آل سعود بنجد، و آل رشيد في حائل عاصمة إقليم شمر، و الأدارسة في عسير.

ظلت أوضاع العرب الاقتصادية و الاجتماعية متخلفة بسبب السيطرة الأجنبية القائمة على الاستغلال و النهب اللامحدودين لمواردهم الاقتصادية، حيث عانى أيضا غالبية السكان من الفقر و الجهل و الأمة، و فقدانهم لحقوق المواطنة، سيما بالنسبة للمناطق الخاضعة للحكم العثماني بسبب فساد إدارته و عنصريته إزاء العنصر العربي، و تكريس السيطرة على الولايات العربية بإخضاعها للحكم

اللامركزي ،فأدى ذلك إلى نمو الوعي القومي لدى مثقفي العرب ببلاد الشام و العراق،تجلت مظاهره في المرحلة الأولى في المجال الأدبي و الفكري و العلمي (اليقظة الأدبية و الفكرية و العلمية)، من خلال إنشاء الجمعيات التي اهتمت بنشر الآداب العربية و مدارس التعليم و ظهور المؤلفات و الصحف بالعربية اهتمت جميعها بإبراز أهمية اللغة العربية وآدابها و أمجاد العرب الماضية و إحياء تراثهم ،و الدعوة إلى نبذ التعصب و تحقيق الوئام و الاتحاد،على غرار الدور الريادي الذي أداه في هذه المجالات كل من:الأديب و الشاعر اللبناني ناصف اليازجي (1800-1871)، و الأديب و الموسوعي اللبناني بطرس البستاني(1819-1883).

و خلال العقد الأخير من القرن 19م بدأت حركة القومية العربية تنتقل من طور العمل الأدبي و الفكري و العلمي إلى طور العمل السياسي،المطالبة بالتغيير ووضع حد لطغيان الحكم التركي ووجوب التحرر منه على غرار كتابات الكاتب السوري عبد الرحمن الكواكبي(1849-1903) المنتقدة لسياسة الدولة العثمانية المستبدة،"و أنكر على العثمانيين مطالبتهم بالخلافة و طالب بحصرها داخل نطاق العرب كأصحاب رسالة دينية سامية و لغة قومية و حضارة عريقة"، و من أهم ما ألفه في هذا الصدد: (أم القرى) و (طبائع الاستبداد). و المفكر اللبناني نجيب عازوري(1873-1916) مؤسس ((عصبة الوطن العربي)) سنة1904،و صاحب مجلة((الاستقلال العربي))،و كتابه الشهير((يقظة الأمة العربية)) الصادر بباريس سنة 1905، الذي انتقد من خلاله الحكم التركي و "دعا إلى إقامة دولة عربية مستقلة سوريا و لبنان و العراق و الحجاز و اليمن". كما عرف عنه دعوته العرب جميعا إلى ضرورة لاتحاد فيما بينهم لمواجهة الغزو الصهيوني لفلسطين خلال هذه الفترة.وبدوره العلامة الشيخ الطاهر الجزائري(1851-1920) ساهم هو الآخر في نشر الوعي العربي القومي من خلال دوره في سوريا بواسطة نشاطاته في الحلقة التي كانت تظم الشباب المثقف السوري كان لهم الأثر البارز على نمو حركة القومية العربية.

كذلك تأسست الجمعيات السرية المناهضة للحكم العثماني خلال هذه الفترة مثل جمعية((جمعية بيروت السرية)) سنة 1875 ،و جمعية النهضة العربية سنة1906 برئاسة الأديب السوري محب الدين الخطيب(1886-1969) بدمشق ،أسهمت بدورها في بلورة الوعي القومي العربي قبل صدور الدستور العثماني 1908.

فما هو التطور الذي عرفته حركة القومية العربية خلال الفترة الممتدة (1908-1914)

2- حركة القومية العربية: تطوراتها، و انعكاساتها(1908-1914):

تحقق في بادئ الأمر التفاهم و التعاون بين القومييين العرب و الاتحادييين الأتراك في المهجر لإحباط حكم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني(فترة عهده من 1876 إلى 1909)، خاصة بعد قيام ثورة تركيا الفتاة في سنة 1908 بقيادة جمعية الاتحاد و الترقى(جمعية سرية خاضعة للنفوذ الماسوني اليهودي العنصري) ضد السلطان، و أصبحت هذه الجمعية منذ ذلك التاريخ هي المسيطر الفعلي على الحكم في تركيا إلى غاية نهاية الحرب العالمية الأولى، و ترتب عن هذه الثورة إعلان الدستور الذي قلص من صلاحيات السلطان، الأمر الذي دفع بعرب الهلال الخصيب للترحيب بهذا الدستور، لاعتقادهم بأنه حررهم من الاستبداد السياسي و منح لهم المزيد من الحريات، و ازداد بذلك تقربهم من الأتراك، سيما بعدما قام هؤلاء بإعادة الشريف حسين إلى مكة و جعلوه أميراً عليها، بعدما كان منفيًا باستانبول لمدة ستة عشر عاماً.

وشارك بعض الضباط العرب إلى الضباط الأتراك في سنة 1909 في قلب النظام على السلطان عبد الحميد الثاني. و قد أدى ذلك إلى فتح المجال لمشاركة بعض الممثلين العرب في مجلس المبعوثان، و تأسيس جمعيات ذات طابع سياسي، فساهم بذلك في تزايد انتشار الوعي القومي في أوساط القومييين العرب.

غير أن علاقات الود لم تدم طويلاً بين العرب و الترك، بعدما أقدمت حكومة الاتحاد و الترقى على غلق أبواب(جمعية الإخاء العربي العثماني) في 2 سبتمبر 1909، التي كانت قد تأسست في سنة 1908 بالإستانة من قبل العنصريين معاً، بهدف النهوض بالعرب و حماية حقوقهم ضمن الجامعة العثمانية. و أن التوجه القومي العربي للجمعية هو الذي جعل حكومة الاتحادييين تتحسس منها و تقدم على حلها.

. – الجمعية القحطانية: جمعية سرية تأسست في الإستانة سنة 1909، من أبرز أعضائها: عزيز علي المصري، و سليم الجزائري، و علي الناشيبي، و الدكتور عزت الجعفري. هدفت إلى تكوين مملكة عربية داخل الإمبراطورية العثمانية، و لتحقيق هذا الهدف عملت على إيقاظ العرب و تذكيرهم بماضيهم العريق و بكيانهم القومي

- جمعية العربية الفتاة: تعود النواة الأولى لتكوين هذه الجمعية إلى سنة 1909 باستانبول، إلا أن النشاط العملي الرسمي لها تجسد في سنة 1911 بباريس، بعد انتقال الطلاب العرب إليها لإتمام الدراسة، ضمت في البداية كلا من: عوني عبد الهادي، ورستم حيدر، و أحمد قدري جميعهم من الشام، ثم انظم إليها فيما بعد بباريس كلا من: عبد الغني العريسي، و رفيق التميمي، و محمد المحمصاني و توفيق الناظور و صبري خوجة. انتقلت الجمعية إلى بيروت في سنة 1913، بعد استكمال الطلاب العرب دراستهم بباريس و عودتهم إلى بلادهم، و أسس لها فروعاً بدمشق 1913. طالبت الجمعية قبيل الحرب العالمية الأولى بالحكم الذاتي للعرب في نطاق الدولة العثمانية، ثم انتقلت إلى المطالبة باستقلال البلاد العربية و تخلصها من الحكم التركي ، و لعبت دور هاماً في النضال القومي العربي خلال فترة الحرب.

-جمعية العهد: جمعية سياسية سرية أسسها مجموعة من الضباط العرب و على رأسهم المقدم عزيز علي المصري ، و المقدم سليم الجزائري، و المقدم أمين لطفي الحافظ، و ذلك في 28 اكتوبر 1913 بالأستانة. انظم فيما بعد إلى الجمعية مجموعة من الضباط و الطلبة من سوريا و العراق. سعت الجمعية هي الأخرى في بادئ الأمر إلى المطالبة بتحقيق الاستقلال الداخلي لبلاد العرب على أن تكون متحدة مع حكومة استانبول، و الحفاظ على الخلافة الإسلامية العثمانية، ثم غيرت من مواقفها و أهدافها، إذ أصبحت تدعوا للتحرر و الاستقلال عن الحكم التركي، سيما و أن ضباطها لعبوا دوراً كبيراً في الثورة العربية ضد الحكم العثماني في الهلال الخصيب و الحجاز سنة 1916.

-حزب اللامركزية: تأسس في نهاية سنة 1912 بالقاهرة على يد مجموعة من المثقفين الشاميين، نجد مقدمتهم: رفيق العظم، و الشيخ رشيد رضا و إسكندر عمون. طالب الحزب بضرورة تطبيق نظام الإدارة اللامركزية في جميع الولايات التابعة للدولة العثمانية عامة و الولايات العربية الخاصة، حتى تتمكن من إدارة شؤونها الداخلية بنفسها و تمكين سكانها من نيل حقوقهم.

-جمعية بيروت الإصلاحية: تأسست في أواخر سن 1912 من طرف مجموعة من المناضلين الشاميين، طالبت باللامركزية في الحكم، و الاستقلال المالي و الإداري لولاية بيروت و جعل اللغة العربية لغة رسمية في جميع المعاملات و.

رغم اعتدال مطالبها إلا أنها تعرضت للحل في سنة 1913 بتدبير من حكومة الاتحاد و الترقى العنصرية،أثار هذا الموقف ثائرة سكان بيروت الذين قاموا بمظاهرات صاخبة و نظموا الإضراب العام تعبيرا لهم عن احتجاجهم على تعطيل جمعيتهم، و بدورهم أحرار العرب اقتنعوا بإستحالة الوصول إلى حل مع الاتحاديين و أنه حان الوقت للتصعيد في العمل النضالي و طرح القضية على صعيد دولي خارج نطاق الدولة العثمانية.

و في ظل هذه الظروف انعقد المؤتمر العربي الأول في باريس ، خلال الفترة الممتدة ما بين 17 و 23 جوان عام 1913 و كانت ((جمعية العربية الفتاة)) هي التي دعت إلى عقده ، انتهى المؤتمر إلى مطالبة الدولة العثمانية بما يلي:

-إنشاء إدارة مركزية في كل ولاية عربية

-المشاركة الفعلية للعرب في الإدارة المركزية

-جعل اللغة العربية لغة رسمية في كل الولايات العربية

-أن تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية ، إلا في الظروف الاستثنائية

إلا أن الاتحاديين-ونجد على رأسهم:جمال باشا،طلعت باشا و أنور باشا الذين سيطروا على مفاتيح السلطة- لم يستجيبوا لهذه المطالب،ونجحوا في استرضاء بعض القياديين العرب،بهدف شق صفوف حركة القومية العربية، و عمدوا إلى البطش بالقياديين المعروفين بمواقفهم الشجاعة،و واصلوا سياسة تترك مؤسسات الدولة،الأمر الذي جعل أحرار العرب يفتنون بأنه لم يعد هناك طريق آخر يمكن سلوكه غير اللجوء إلى العمل الثوري المسلح لتحقيق آمالهم في الحرية و الاستقلال و هو ما حدث خلال الحرب العالمية الأولى بانضمامهم إلى الثورة العربية بقيادة الشريف حسين ضد الحكم التركي.